الأستاذة: كعبش ريمة

المقياس:نظرية الأدب

السنة: الثانية ليسانس

التخصص: دراسات أدبية

بتاريخ:21-01-2021

التطبيق4: طبيعة الأدب

1- طبيعة الأدب في منظور النقاد العرب و الغرب:

أ-عند العرب:

غالبًا ما توظَّف كلمة (أدب) دون التفكير في تحديد دلالاتها وتوضيح معالمِها، وكأن المعنى الذي تَحمله معروف لا يتضمن أي إشكال، والحال أن للكلمة تاريخًا طويلًا تطوَّر فيه معناها.

فإذا كانت أغلب الدراسات التي تناولت المفهوم عند العرب تُشير إلى أنه لم يَرِدْ في العصر الجاهلي، فإن للكلمة حضورًا في صدر الإسلام للدلالة على التهذيب والخُلق الحسن، وكذا التثقيف والتعليم، استنادًا إلى ما ورد في الحديث الشريف، حين قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((أدَّبني ربي فأحسَن تأديبي)).

غير أن شيوعَ استِعمال لفظ (أدب) كان خلال العصرين الأموي والعباسي، وقد ورَدَ بمعانٍ مختلفة؛ إذ استعمل بدايةً بمعنى التعليم بطريق الرواية، وأُطلق لفظ المؤدِّب على الذي يوكل إليه تعليم أبناء الخاصة وهو مِن أصحاب العلوم والبيان، كما أُطلِقت كلمة (أدب) على العلم بالشعر والأنساب والأمثال والأخبار، فظهرت علوم اللغة ووُضعت أصولها، وأُدرجت هي الأخرى في باب الأدب، إلى أن نمَتْ واستقل بعضها عن الآخر، ليَقتصر معنى التأدب خلال فترة لاحقة على المأثور من الشعر والنثر.

وذهب "ابن خلدون" إلى أن علم الأدب لا موضوع له في إثبات عوارضه أو نفيها؛ وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فنَّي المنظوم والمنثور على أساليبهم

ومناحيه، وقد اعتبر كل من "أحمد الشايب" و"عبدالعزيز عتيق" هذا التحديد الذي قدمه "ابن خلدون" يتضمن الكثير من الخلط؛ ذلك لأن الأدب لا بد له مِن موضوع.

وفقًا لذلك كله يبدو أن كل ما ورد عن العرب بخصوص الأدب لا يشير إلى ماهيته وجوهره، بقدر ما يُحاول حصره في المأثور من المنظوم والمنثور، دون تقديم مفهوم جامع يرصد مميزاته ومُكوِّناته، وحتى "لسان العرب" قيد دلالة الكلمة في معنى التأدب والتهذيب.

وعلى خلاف ذلك، فإن الدراسات الحديثة حاولت أن تقدم تعريفًا للأدب يكشف عن ماهيته من خلال مكوِّناته وعناصره، وإن كنا قد لاحظْنا تشعُّب دلالة هذا المفهوم واختلافها من اتجاه إلى آخر، لدرجة أنه أصبح من الصعب الحصول على تعريف موحَّد وشامل للأدب.

وهكذا، رأى أحمد الشايب "أن الأدب يمتاز أول ما يمتاز بأننا نعود إليه ونكرر قراءته... وعليه؛ فالأدب: هذه النصوص الخالدة التي يقرؤها الناس مرةً ومرة؛ لِما تحمل من قيم خالدة، وإثارة العواطف والانفعالات هي التي تكسب الأثر قيمة خالدة"، فهو بالنسبة إليه يتوفر فيه شرطان: الخلود، والإقبال عليه، بالإضافة إلى حَملِه قيمًا تؤكِّد ذلك الخلود، وقد أضاف الكاتب أيضًا أنه ينحلُّ إلى عناصر أربعة تشكل عموده وركيزته؛ وهي: العاطفة، والخيال، والفكرة، والصورة.

أما "عبد العزيز عتيق"، فيحدِّد ماهية الأدب باعتباره: "الكلام الذي يَخرج الأديب بألفاظه عن معانيها الأصلية؛ للدلالة على معانٍ أخرى تستفاد بالإيحاءات والتداعي والقرائن"، وإن كان لاحَظَ أن ذلك لا يَنطبِق على جميع أنواع الأدب وأجناسه.

بينما ذهب "عز الدين إسماعيل" – مستندًا إلى ما ورَدَ عن "هدسن" – إلى أن الأدب تعبير عن الحياة وسيلتُه اللغة، مضيفًا أنه لا يَنقل الحياة حرفيًّا بقدر ما ينقُل إلينا فهمَ الأديبِ للحياة من خلال تجارِبه الشخصية؛ ليُحقِّق المُتعة أو المنفعة التي قال بها "هوراس" مند أمد بعيد، ومؤكدًا في الآن نفسه أنه ثمَّة أربعة عناصر تشترك في تكوين العمل الأدبي، تتحدد في: العنصر العقلي، والعنصر العاطفي، وعنصر الخيال، والعنصر الفني أو عنصر التأليف والأسلوب.

وهكذا تعدَّدت التعاريف وتباينت، دون أن تقدِّم مفهومًا جامعًا مانِعًا لماهية الأدب، ولعل هذا ما دفع "عبدالفتاح كيليطو" إلى التأكيد على أن "التعريف الذي نود العثور عليه غير موجود، وإن كانت هناك طبعًا عدة تعريفات، لكنها لا تشمل إلا قِسمًا مِن الأدب، وتبقى عاجزةً عن الإحاطة بأقسام أخرى، ومن ثمة رأى أن تعريف الأدب محاولة سابقة لأوانها، ولن تنتج ثمارها إلا في إطار نظرية شاملة لكل أنماط الخطاب.

يَضعنا هذا الطرح أمام إشكال يرتبط بمادة البحث الأدبي؛ أي: كيف نميز الأدب عن غيره؟ وما الذي يُعَدُّ أدبًا؟ وما الذي لا يُعدُّ أدبًا؟

ب-عند الغرب:

يُشير "رينه ويلك" و"أوستن وارين" في كتابهما "نظرية الأدب" إلى أن "إحدى طرق تعريف الأدب اعتباره كل شيء مطبوع... وذهب "إدوين كرينلو" إلى أن كل ما يتصل بتاريخ الحضارة يدخل في نطاق الأدب[6]"، هو قول عام ومُنفتح على حقول معرفية لا تخص مجال الأدب؛ وإنما تشمل الهندسة والطب والتاريخ... ولذلك أشار الكاتبان إلى توجه آخر "يقصر الأدب على أمهات الكتب؛ أي: تلك التي تتميز بالشكل أو التعبير الأدبي مهما كان موضوعها، وهنا يكون الأساس هو القيمة الجمالية وحده".

والتركيز على القيمة الجمالية من شأنه أن يفتح أمامنا الباب للحديث ليس فقط عن الأعمال الأدبية الخالدة أو المشهورة، بل أيضًا عن تلك الأعمال التي تتضمَّن هذا الجانب الجمالي من خلال مُكوِّناتها وعناصرها الفنية، والتي تشكل نظامها الداخلي الذي يفرض على المتلقي تصنيف الأدبي عن غير الأدبي؛ ولذلك اعتبر الأدب "لغة؛ أي: نظام علامات لا تتمثل كينونته في نظر بارث في هذه اللغة، بل في نظامه."